نكاح الصالحات

عبد الملك القاسم

مصدر هذه المادة:

الكتيبات الإسلامية

www.ktibat.com

دار القاسم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمدٍ، وعلى آله وصحبه أجمعين .. وبعد:

يسر الله وكتبت فيما سبق كتيبًا بعنوان «يا أبي زوجني» وأردت أن أتممه بهذا الموضوع الهام؛ ألا وهو: صفات المرأة التي يختارها الشاب المقبل على الزواج؛ خاصة مع كثرة الفتن وتوسع دائرة وسائل الفساد؛ فأردت أن يكون بعد التفكير في الزواج والعزم على ذلك، إعانة على مهمة الاختيار؛ وهي المهمة التي تتوقف عليها سعادة الزوجين.

أسأل الله عز وجل أن ينفع به.

ثمار نكاح الصالحات

إذا فكر الشـــاب في الـــزواج فلابد أن يضع نصب عينه هـدفًا لهـذا الـزواج، وعلى هـذا الأسـاس يبـدأ البحث والاختيـار، فـإن انصب هدفه على ذات الجمـال بـدأ يسـأل ويرسل من يـرى المخطوبـة، وسـؤال حاله في كل مـرة عن جمالهـا، والآخر يبحث عن المـــادة في زواجه فـــتراه يبحث عن أهل الغنى ويشـترط أن تكـون ذات مـرتب مثلاً وإلا فهو يحجم؛ والآخر يبحث عن ذات الحسب والنسب ولو توفرت له امـرأة فيها جميع الصـــفات إلا هـــذا الشـــرط لعـــزف وتوقف! والآخر يبحث عن ذات الدين فتراه يفتش عن مواطن الخير والصلاح ويتفــرس في الـبيوت ويسـأل الصـالحات حـتى ينـال مـــراده، ولا تخـــرج الأهـــداف عن هـــذه المطالب الأربعة، وأميز النسـاء ذات الـدين لأنها صاحبة ثمرات دانية وآثار يانعة.

أخي الشاب:

للنكاح في الإسلام ثمار عديدة، ولنكـاح الصـــالحات ثمـــار أخص وأعظم؛ ومن تلك

الثمار مع النية والاحتساب:

أولاً: طاعة الرسـول في حثه على الـزواج ابتـداء، فقد قـال : «**يا معشر الشـباب من اسـتطاع منكم البـاءة فليـتزوج، فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج**» [متفق عليه].

وفي التمـاس هديه وتوجيهـه، الخـير والبركة في الدنيا والآخرة.

ثانيًا: امتثـال أمر النـبي وتوجيهه في الـزواج بـالمرأة الصـالحة، فقد قـال : «**تنكح المرأة لأربع**»، ثم قـال حاثًا على أعلاهن مرتبة وأكملهن عشـرة وأعظمهن أثرًا: «**عليك بذات الدين تربت يـداك**» [متفق عليه].

ثالثًا: البعد عما يظن به من عجز أو فجـور أو مواضع التهم والسـوء، كما قـال عمر : (لا يمنع من النكـاح إلا عجز أو فجور).

وكـان ابن مسـعود يقـول: (لو لم يبق من عمري إلا عشرة أيام، لأحببت أن أتزوج لكيلا ألقى الله عزبًا).

رابعًا حصـول الذرية الطيبة واسـتمرار بقـــاء النسل ونيل الثـــواب، بســـبب الولد الصـالح كما قـال : «**إذا مـات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث**» وذكر منهــا: «**أو ولد صالح يدعو له**» [رواه مسلم].

والولد الصالح نتيجة تربية الأب الصــالح والأم الصالحة، بل الأم هي الأقرب في أمر التربية خاصة في سنوات الابن الأولى.

وأذكر امرأة توفي زوجها وبدأت تحرص على أبنائها وتحثهم على صـــلاة الفجر وهم صغار، حتى كبروا وشبوا عن الطوق وكـانوا حفظة لكتاب الله .

أما المــرأة غــير الصــالحة فإنها لا تنفع نفسها، بل تضر نفسها ومن ولاها الله من الصــغار والأطفــال فينشــئون في منــابت السوء وضعف الدين.

خامسًـــا: حصــول الأجر والمثوبة لكل من الـــزوجين من إنفـــاق وإعفـــاف وإعانة وكلمة طيبة وكف أذى، ومن ذلك قـــــــول النــــبي : «**ما كسب الرجل كســـبًا أطيب من عمل يـــــــده، وما أنفق**

الرجل على نفسه وأهلـــه، وولـــده، وخادمـــــه، فهو له صـــــدقة» وقد وجه النبي بأن: «**لا يأكل طعامك إلا تقي**» وهذا يقع في المرأة الصالحة.

سادسًا: دعاء الزوجة الصـالحة لزوجها في صـــلاتها وقيامها وقعودهـــا، مع كـــثرة شــكرها لأعمالك وإنفاقك وإحســانك، فــإن ديــدن الصــالحات شــكر من أســدى إليهن معروفًا، كما قـال : «**من أســدى إليكم معروفًا فكافئوه..**».

سابعًا: الثــواب الجزيل المــترتب على إنجاب الأبنــاء والصــبر على تــربيتهم التربية الصــالحة وجعلهم دعــاة إلى الــدين وأعوانًا لــه، ونكــاح الصــالحات مظنة إخــراج أولئك من تحت يدها بإذن الله فهي ترى حــديث الرســول : «**تزوجــوا الولــود الــودود فــــإني مفــــاخر بكم الأمم**» وليس لــدعوات تحديد وإيقــاف النسل مكــان في عقلها وفكرها وواقع حياتهـــا؛ بل هي تنجب وتربي، فالأمة بحاجة إلى أبناء بــررة وبنــات

صـــالحات.. وتأمل في ســـيرة الســـابقين واللاحقين ودور الأم في تربية الأبنـــــاء في حياة والدهم أو بعد وفاته.

ثامنًا: نكـــاح الصـــالحات من أســـباب حصـــول الـــرزق ونـــزول البركة فيـــه، قـــال سبحانه وتعالى: ﴿**وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّـالِحِينَ مِنْ عِبَـادِكُمْ وَإِمَـائِكُمْ إِنْ يَكُونُـوا فُقَـرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْـلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ**﴾ [النور].

قـــــال أبو بكر ﷺ : (أطيعـــــوا الله فيما أمـركم به من النكـاح، ينجز لكم ما وعـدكم من الغنى).

وقال علي ﷺ : (التمسوا الغنى بالنكاح).

تاســـعًا: إعانة الله ﷻ لمن أراد النكـــاح فقد قـــــــــال ﷺ : «**ثلاثة حق على الله عـــــونهم**» وذكر منهم: «**النـــــاكح يريد العفاف**»، وقد زوج النـــبي ﷺ الرجل الـــذي لم يجد عليه إلا إزاره، ولم يقدر على خـــاتم من حديـــد، ومع هـــذا فزوجه بتلك المـــرأة، وجعل صـــــداقها عليه أن يعلمها ما معه من

القرآن.

قال ابن كثـير -رحمه اللـه-: (والمعهـود من كــرم الله -تعـالى- ولطفه أن يرزقه ما فيه كفاية لها وله..)

عاشـــرًا: إن النكـــاح عند أهل العلم والفقه الشـــــرعي مقـــــدم على نوافل العبـادات، وقد ذهب جمع من الفقهـاء إلى أن الـــزواج يقـــدم على الحج، مع أن الحج ركن من أركان الإسلام وفيه إعفاف للـزوج والزوجة في زمن الفتن.

الحـادي عشر: حصـول المـرأة على الأجـــر، الأجر المماثل لأجر الرجل المجاهد بحسن تبعلها لزوجها وقيامها على أســرتها، والـــزوج هو الســـبب في ذلك إذا احتسب ونوى ذلك.

الثاني عشر: إن نكاح الصـالحات من متـاع الـدنيا وجمالها وبهائهـا، فقد قـال : **«الدنيا كلها متاع، وخـير متـاع الـدنيا المرأة الصالحة»** [رواه مسلم].

ألق نظـــرة إلى هـــذا التفـــاهم الجميل

والانسجام في حياة الأخيار، قال أبو الدرداء لأم الــدرداء: (إذا غضــبت فرضــيني، وإذا غضبت رضيتك، فإذا لم نكن هكذا ما أسرع ما نفترق)[1].

الثـالث عشر: المـرأة الصـالحة تعين على نـوائب الـدهر وتقلبـات الأيـام وأمـور الـــدنيا، والأمثلة أكـــثر من أن تحصى في التاريخ القديم وسير الصالحات في عصــرنا هذا.

لما رجع النبي من غـار حـراء، بعد أن أتاه الملك، كان فؤاده يرجف خوفًا وفزعًــا، فــدخل على زوجته الصــالحة أم المؤمــنين خديجة بنت خويلد -رضي الله عنهــا- فقــال لها: «**زملوني! زملوني!**» فزملوه حــتى ذهب عنه الخـــوف، ثم قص -عليه الصـــلاة والسلام- الخبر على خديجة، وقال: «**والله لقد خشيت على نفسي**»**!!** فقــالت له خديجة بلســان الزوجة الصــالحة الناصــحة المواسية لزوجها في محنته:

1 (?) روضة العقلاء، ص122.

كلا! والله لا يخزيك الله أبدًا؛ إنك لتصل الــرحم؛ وتقــري الضــيف؛ وتحمل الكــل؛ وتكسب المعدوم؛ وتعين على نوائب الحق.

ثم انطلقت به خديجـــة، حـــتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العــزى، ابن عم خديجة وكـــــان امـــــرءًا قد تنصر في الجاهليــة، وكــان يكتب الكتــاب العــبراني، فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شـــاء الله أن يكتب، وكـــان شـــيخًا كبـــيرًا قد عمي، فقالت له خديجة: يا ابن عم اســمع من ابن أخيــك! فقــال له ورقــة: يا ابن أخي، مــاذا تــرى؟ فــأخبره رسـول الله ﷺ خــبر ما رأى، فقــال له ورقــة: هــذا النــاموس الــذي كــان ينزل على موسى!! يا ليتــني فيها جــذعًا! يا ليتــني أكــون حيًا إذ يخرجك قومــك! فقــال الرســـــول -عليه الصـــــلاة والســـــلام-: **«أومخــرجي هم؟»** قــال: نعم! لم يــأت أحد بمثل ما جئت به إلا عـــــــــودي! وإن يدركني يومك أنصرك نصـرًا مـؤزرًا!، ثم لم يلبث ورقة أن توفي وفتر الوحي فترة!ـ

الرابع عشر: نكـاح المـرأة الصـالحة يعين على الطاعة وييسر أمر العبـادة؛ فإنها ستكون لك صاحبة وقريبـة، وبعض الشـباب الــتزم وحســنت حاله إثر زواجه بـــامرأة صــالحة، فــانظر مــاذا قــدمت لــه! بل إنه أعظم أمر: الدلالة على الخير والتحـذير من الشر.

وما أجمل الصورة التي ذكرها الرسـول للـزوجين المتعـاونين على الطاعـة، روى أبو هريــرة ، قــال: قــال رســول الله : **«رحم الله رجلاً قــــــــام من الليل فصــلى وأيقظ امرأته فصــلت، فإنه أبت نضح في وجهها المـــــاء، ورحم الله امـرأة قـامت فصـلت، وأيقظت زوجها فصلى، فـإن أبى نضـحت في وجهه الماء»** [رواه أبو داود].

الخامس عشر: نكاح الزوجة الصالحة أقرب للسعادة وسير الحياة الأسـرية بعيـدًا عن التصــادم والتنــازع، فالزوجة الصــالحة امــرأة ذات عقل ودين، تعــرف للرجل حق القوامة: **الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ**

 [النساء: 34].

قـال ابن عبـاس -رضي الله عنهمـا-: (يعـني أمـراء عليهن، أي مطيعة فيما أمرها به من طاعتـه، وطاعته أن تكـون محسـنة لأهله، حافظة لماله).

وما تمـردت المـرأة على الرجل وكـثر الشـقاق والخلاف إلا من كـان أمر القوامة عندها مضيعًا، فالأسرة سـفينة تمخر عبـاب الحيـاة بـأكثر من قائـد، فتختل في سـيرها ولربما غرقت وضاعت الأسرة.

السـادس عشر: حسن الخلق وطيب المعشر تمتـاز به الزوجة الصـالحة: فـإن الزوجة الصـالحة تتعبد الله -عز وجـل- في طيب المعاملة وحسن التبعل ترجو بـذلك وجه الله والـدار الآخـرة، قـال : «**أيما امـرأة مـاتت وزوجها عنها راض دخلت الجنة**» [رواه ابن ماجه].

والـزوج يتقـرب إلى الله في معاملة الزوجـة، فقد قـال : «**أكمل المؤمـنين إيمانًا أحسـنهم خلقًا وألطفهم**

بأهله» [رواه الترمذي].

السابع عشر: الزوجة الصالحة من خير النساء بشهادة الرسول ﷺ ، فقد سئل أي النساء خير؟ فقال ﷺ : **«التي تسره إذا نظر، وتطيعه إذا أمر، ولا تخالفه فيما يكره في نفسها وماله»** [رواه أحمد]، وقال ﷺ : **«ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله خيرًا له من زوجة صالحة، إن أمرها أطاعته، وإن نظر إليها سرته، وإن أقسم عليها أبرته، وإن غاب عنها حفظته في نفسها وماله»** [رواه ابن ماجه].

الثامن عشر: المرأة الصالحة تنظر بعين القرآن وتعاليمه: ﴿**لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آَتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آَتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا**﴾ [الطلاق]، فهي لا ترهق زوجها ولا تشق عليه ولا تحمله ما لا يطيق.

وما ظهر الإسراف والتبذير إلا من غير الصالحات حتى أضحى الزوج المسكين

يلاحق الأزياء والموديلات وتغيير أثاث منزله كل حين.. فأرهقته الديون وأثقلته الهموم.

التاسع عشر: إنها امـــــــرأة تحتسب الأجر في كل عمــل، ولا تخــالف الــزوج أو تعصــيه قــال : «**إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فـــأبت أن تجيء؛ لعنتها الملائكة حتى تصبح**» [رواه البخاري].

العشـــرون: الزوجة الصـــالحة تحفظ الأسرار ولا تنشــرها ولا تــذيع سر زوجها ولا أسرار حياته، أما سـمعتم بـالنكت السـمجة والعبـارات المخلة بـالأدب والمـروءة، وتلك تتحــــدث عن فعل زوجهـــــا؟! أما الزوجة الصالحة فقد سمعت ووعت قول النــبي : «**إن من أشر النـــاس عند الله منزلة يــــوم القيامـــــة، الرجل يفضي إلى امرأتــــــه، وتفضي إليـــــه، ثم ينشر سرها**» [رواه مسلم].

الحادي والعشرون: ذكر الله بعض صــــفات الصـــالحات، فقـــال تعـــالى: **فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَـاتٌ حَافِظَـاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِـــــظَ اللَّهُ** [النســــــاء: 4] أي

فالصالحات من النساء مطيعات لأزواجهن، تحفظ زوجها في غيبته في نفسها وماله، وتعلم حديث الرسول ﷺ أنها: «**رعاية في بيت زوجها، ومسئولة عن رعيتها**».

بل حتى في نوافل الطاعات تستأذنه وتطيع أمره، قال ﷺ : «**لا تصوم المرأة وبعلها شاهد إلا بإذنه**» [رواه البخاري].

الثاني والعشرون: الزوجة الصالحة امرأة عاقلة تتبع مواضع الرضا من زوجها؛ فلا تشوش ذهنه ولا تكدر خاطره، وإليك هذه القصة لتعلم ذلك:

قال ﷺ : «**ألا أخبركم بنسائكم في الجنة؟**» قلنا: بلى يا رسول الله، قال: «**ولود ودود، إذا غضبت، أو أسيء إليها، أو غضب زوجها، قالت: هذه يدي في يدك لا أكتحل بغمض حتى ترضى**» [رواه الطبراني].

ولعل في إيراد قصة أبي طلحة عندما قدم من السفر وما فعلت أم سليم -رضي الله عنهما- أصدق صورة للمرأة الصالحة.

فقد مات ابن لأبي طلحة من أم سليم، فقالت لأهلها: لا تحدثوا أبا طلحة بابنه حتى أكـون أنا أحدثـه، قـال: فجـاء فقـربت إليه عشاء، فأكل وشرب، ثم تصـنعت له أحسن ما كان تصنع قبل ذلك، فوقع بها، فلما رأت أنه قد شـبع وأصـاب منهـا، قـالت: يا أبا طلحـة: أرأيت لو أن قومًا أعـاروا عـاريتهم أهل بيت، فطلبـوا عـاريتهم، ألهم أن يمنعوهم؟ قـال: لا، قـالت: فاحتسب ابنـك، فغضـب! وقـال: تركتـني حـتى تلطخت، ثم أخبرتـني بـابني، فـانطلق حـتى أتى رسـول الله فأخبره بما كان، فقال رسول الله : **«بـارك الله لكما في غـابر ليلتكما»** [رواه الإمام أحمد].

الثالث والعشرون: الزوجة الصـالحة امرأة وفية جبلت على ذلـك، روي عن نائلة بنت الفرافصة زوجة عثمـان بن عفـان ، وكانت قطعت أصابع يديها، وهي تـدافع عنه يوم قتله، أن معاوية بن أبي سـفيان -رضي الله عنهمـا- خطبهـا، فقـالت: ما يعجب الرجل مـني وأصـابعي مقلعـة؟! فقيل لهـا:

ثنايـاك، فكسـرت ثناياهـا! وقـالت: لا أبغي بعثمان بديلاً.

ويقــول ميمــون بن مهــران رضي الله عنــه: خطب معاوية أم الــدرداء -رضي الله عنهـا- فـأبت أن تزوجه وقـالت: سـمعت أبا الـدرداء يقـول: قـال النـبي : **«المـرأة لآخر أزواجها»** ولست أريد بـأبي الـدرداء بديلا!

بل ذكر أصـحاب السـير والـتراجم: أن فاطمة بنت عبد الملك -رحمه اللـــــه- كـــــانت بنت خليفة وزوجة خليفة، وأخت أربعة من الخلفــاء، زفت إلى زوجها يــوم زفافهــا، وهي مثقلة بالــذهب والمجـــــوهرات والحلي، فلما أراد عمر بن عبد العزيز الخروج من المظـالم خيرها بين زوجها وبين خروجها من حليهــا، فاختــارت زوجها فوضع عمر تلك الحلي والمجـوهرات في بيت مـال المسـلمين، ولما تـوفي أراد من أراد أن تأخذ أموالها وحليها من بيت مـال المسـلمين، فقـالت: ما كنت لأطيعه

حيًا، وأعصيه ميتًا، تعني زوجها عمر بن عبد العزيز.

والزوجة الصــــالحة حافظة لســــرك ومــدخلك ومخرجــك؛ فلا تفشي ســرًا ولا توغر صدرًا ولا تسـعى إلا لرضـاك بعد رضا الله .

الرابع والعشــــرون: إن المــــرأة الصالحة مظنة أن يقع عليها حديث الرسول : «**تخــيروا لنطفكم فــإن العــرق دساس**».

والمرأة الصـالحة غالبًا ما تكـون -بـإذن الله- قد نشأت في موطن صلاح ومن أصل طيب، وليست مثل فلانة خضــراء الــدمن التي حذر النبي من الـزواج بهـا، فعن أبي سعيد الخدري موقوفًا: «**إيـاكم وخضـراء الــدمن!**» قــالوا: وما خضــراء الــدمن يا رسول الله؟ قال: «**المرأة الحسناء في المنبت السوء**» [مسند الشهاب].

الخــامس والعشــرون: إن اختيــار الـزوج لزوجته الصـالحة من حقـوق أبنائـه، فقد سئل عمر بن الخطاب : ما حق الولد

على أبيـه؟ فقـال: (أن ينتقي أمـه، ويحسن اسمه، ويعلمه القرآن).

السـادس والعشـرون: إن المـرأة الصـالحة نعمة عظيمة تقر بها العين وتهنأ النفس، قـال ﷺ : «**أربع من أعطيهن فقد أعطي خير الدنيا والآخـرة: قلبًا شـاكرًا، ولسـانًا ذاكـرًا، وبـدنًا على البلاء صـابرًا، وزوجة لا تبغيه حوبًا في نفسها وماله**» [رواه ابن ماجه].

وقـال ﷺ : «**من سـعادة ابن آدم ثلاثة، ومن شقوة ابن آدم ثلاثـة. من سـعادة ابن آدم: المـرأة الصـالحة، والمسكن الصالح، والمركب الصـالح. ومن شقوة ابن آدم: المـرأة السـوء، والمسكن السوء، والمـركب السـوء**» [رواه أحمد].

السـابع والعشـرون: المـرأة الصـالحة تحفظ الرجل في عرضه ومالـه، لأنها تعلم حـديث الرسـول ﷺ : «**لا يحل لها أن تطعم من بيته إلا بإذنه ..**» بل ولا تأذن في دخول أحد إلى بيته إلا بإذنه.

عن الشعبي قال: لما مرضت فاطمة بنت النبي أتى أبو بكر الصديق ليزورها، فاستأذن فقال لها زوجها علي بن أبي طالب: يا فاطمة، هذا أبو بكر يستأذن عليك! فقالت: أتحب أن آذن له؟ قال: نعم.

قلت: -أي الذهبي- علمت السنة -رضي الله عنها- فلم تأذن في بيت زوجها إلا بإذنه!! قال: فأذنت له، فدخل عليها يترضاها.. حتى رضيت[1]!

الثامن والعشرون: المرأة الصالحة صاحبة قرار في البيت ليست خراجة ولاجة، تمتثل أمر الله : **وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ** [الأحزاب: 4]. وفي هذا من الاستقرار وحسن التبعل والبعد عن الفتن ما لا يخفى على عاقل.

التاسع والعشرون: الزوجة الصالحة لا تتطلع إلى ما في أيدي الناس، ولا تقارن حال زوجها بغيره من الأزواج، بل هي في قرارة نفسها راضية بما قسم الله -عز

---

1 (?) كتاب سير أعلام النبلاء، (1/121).

وجل- صابرة على ما أصابها.. صاف ذهنهـا، قانعة بحالهـا، وعقلها مسـتريح، ونفسـها طيبة.. واستقرار الصالحات العاطفي واضح جلي، فلا هي تبحث عن كلمة إعجـاب ولا ثناء ومحبة من رجل آخر، بل قد قرت عينها ببعلها تخدمه وتنظر مواطن قربه.

الثلاثـون: المـرأة الصـالحة من منبت طيب، يبحث أهلها عن الـزوج الصـالح، وليس الهدف التكثر من الأمـوال في المهر والولائم؛ فقد رضوا بقول النـبي ﷺ : «**أكـثر النسـاء بركـة: أيسـرهن مؤنة**» ومن الصالحات من تـزوجت بمهر قليل جـدًا ولم تحمل زوجها بعد النكـاح ديونًـا، ولا أرهقته بطلبـات تثقل كاهله وتجعله مهمومًا بالنهـار مغمومًا بالليل.

الحـادي والثلاثـون: إن نـزل بـالزوج مصـيبة المـوت وتوفـاه الله ﷻ، فإنها زوجة وفية تدعو لك بالرحمة والمغفـرة، وتسـعى لأن تجلب إليك ما يرفع درجتك.

وأذكر أن امرأة تزوجت رجلاً توفي بعد

سـنوات قليلة من زواجـه، فما كـان من الزوجة الوفية إلا أن جمعت من راتبها - وهي معلمـة- حـتى بنت له مسـجدًا على مدى ثلاث سنوات.

الثـاني والثلاثـون: الزوجة الصـالحة امرأة مطيعة، تشبع رغبات زوجها العاطفية والنفسـية، حـتى وهي في أشد حـالات العمـل؛ لأنها سـمعت حـديث النـبي ﷺ فأطـاعت وامتثلت: «**إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فـأبت أن تجيء؛ لعنتها الملائكة حـتى تصـبح**» [رواه البخاري].

الثـالث والثلاثـون: الزوجة الصـالحة امـرأة خـدوم في بيتها وأولادها على قـدر استطاعتها.

وحسـبك بابنة نـبي الأمة فاطمة رضي الله عنهـا، عنـدما جـاءت إلى أبيها ﷺ تشـكو إليه ما تلقى في يـدها من الـرحى.. فهـذه الأمة وابنة نـبي وأثر فيها الـرحى خدمة لزوجها وأولادها.

وأخرى من الصـالحات هي أسـماء بنت

أبي بكر رضي الله عنهما، قالت: تزوجني الزبير وما له في الأرض من مال ولا مملوك ولا شيء، غير ناضح وغير فرسه، فكنت أعلف فرسه وأستسقي الماء وأحرز غربه وأعجن، ولم أكن أخبز وكان يخبز جارات لي من الأنصار وكن نسوة صدق، وكنت أنقل النوى من أرض الزبير التي أقطعه رسول الله على رأسي وهي مني على ثلثي فرسخ[1] ، [رواه مسلم] ومعنى هذا أنها تحمل الماء على رأسها أكثر من ثلاث كيلومتر ونصف.

الرابع والثلاثون: إن الزوجة الصالحة غضيضة الطرف عن غير زوجها، امتثالاً لأمر الله : **وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ** [النور: 24]، ولذلك لديها سكون عاطفي ونفسي، لا تتطلع إليه ولا ترمق سواه. امرأة حيية والحياء لا يأتي إلا بخير.

عن أسماء بنت أبي بكر الصديق -رضي

---

1 (?) الفرسخ نحو خمس كيلومترات.

الله عنهما- قالت: جئت يومًـا، والنـوى على رأسي فلقيت رسـول الله ، ومعه نفر من الأنصار، فدعاني -عليه الصلاة والسـلام- ثم قال: **(إخ!! إخ!!)** ليحملـني خلفـه!! [رواه مسلم].

[أي أن النـبي عليه الصـلاة والسـلام، رحمها وأشـــفق عليها من مشـــقة الحمل الثقيل الـذي تحمله على رأسـها، فـأراد أن يركبها خلفه على البعـــير، ليوصـــلها إلى مقصدها!!].

قالت أسـماء: فاسـتحييت أن أسـير مع الرجال!! وذكرت الزبير وغيرتـه، وكـان من أغير الناس!!

قـالت أسـماء: فعـرف رسـول الله ، إني قد اســـتحييت فمضـــى!! فجئت إلى الزبـير فقلت: لقيـني رسـول الله ، وعلى رأسي النوى، ومعه نفر من أصحابه، فأنــاخ لأركب، فاسـتحييت منـه، وعـرفت غيرتـك! [رواه البخاري].

الخامس والثلاثون: يسرك أن تسمع

كلام الله يتلا: ﴿**وَالطَّيِّبُــــونَ لِلطَّيِّبَـــاتِ**﴾ [النور: 24] فكن أنت وزوجك ممن ذكـرهم الله ﷻ وجمع بينهم على التقوى والهدى.

الســـادس والثلاثـــون: إنها امـــرأة تحفظ نفسها وعرضـها عن شـياطين الإنس والجن: علمت أن الخـير للمـرأة أن لا تـرى الرجـــال ولا يراها الرجـــال، ولـــذا فهي لك وحدك، ليس معك شريك في النظر إليها أو محادثتها أو غير ذلك.

كـانت عتبة فتـاة بارعة الجمـال، فائقة الحسن والـــدلال، فعشـــقها أحـــدهم وتعلق قلبه بهـــا، فطلب منها أن يراهـــا، ولو مـــرة واحـدة، فـأبت عليه وامتنعت، فاشـتد تعلقه بها، ومرض واشتد مرضه، ثم مـــات!! فقيل لها لما مـــات: ما كـــان يضـــرك لو أمتعتيه بوجهك!! فقـالت: منعـني من ذلـك: مخافة القوي الجبار، وخوف العار، وشماتة الجـــار، وإن بقلـــبي -أي من الحب والشـــوق إليـــه- أضـــعاف ما بقلبـــه، غـــير أني أجد ســـتره وكتمانـــه، أبقى للمـــودة، وأحمد للعاقبـــة،

وأطوع للرب، وأخف للذنب[1] !

قال إبراهيم بن الجنيد: راود رجل امرأة عن نفسها، في حال خلوة بها، فقالت له: أنت قد سمعت القرآن والحديث، فأنت أعلم!! قال: فأغلقي الأبواب، فأغلقتها كلها!! فلما دنا منها، قالت له: بقي باب لم أغلقه! فقال لها مستغربًا: أي باب؟! فقالت والدموع تتحدر من عينيها: الباب الذي بينك وبين الله تعالى!! فأفاق الرجل من غفلته، وتركها لله -تعالى-، ولم يتعرض لها بسوء[2]!!

وبعض الناس إذا تزوج بامرأة غير صالحة؛ يرتاب في أمرها ويشك في حالها وتنقلب حياته تعاسة ونعيمه بؤسًا، أما الزوجة الصالحة الحافظة لحدود الله فإنها قرة عين وموطن ثقة ولله الحمد.

---

1 (?) كتاب روضة المحبين، لابن القيم.

2 (?) كتاب روضة المحبين، لابن القيم، بتصرف.

إنها منهن

في عمر الزهــور تســابقت مع زميلاتها في المدرسة وتنافست أعظم منافســـــة، ســـعت مع أخواتها في المدرسة إلى حفظ القرآن الكريم فكـان لها ذلك بعد جهد ثلاث سنوات وكان المصحف لا يسقط من يدها!

ما علمت بعمل يقربها إلى الله زلفى؛ إلا وسارت إليه وتحرت عمله، تصوم الاثنين والخميس، والأيــام الــبيض، أما قيــام الليل فهو بساعات طوال!

لما يسر الله وأنهت الدراسة الجامعية ونالت مرتبًا شهريًا.. فــرحت بــه.. ليس للمـال بل محبة في الإنفـاق.. تسـارع إلى والــدتها تلــبي حاجتهــا، وتسر في أذن قريبتها: ماذا تريد؟ أما أبواب الخير الأخـرى فهي أمامها مشــرعة، والعجب جمع الله لها بين الأدب الرفيع والخلق الحســن.. وجميل الحـديث صـفة من بعض صـفاتها.. إن هـذه الدرة المصونة والياقوتة المتلألئة قد قاربت

الثلاثين ولم تـــتزوج، والأخـــرى قـــاربت الأربعين، والثالثة بينهما عمرًا وسنًا.

أين من يتســـابقون إلى مثلهن، وتهفو قلوبهم إلى الصالحات؟ لقد أبعدهن لســواد في بشرتها، أو قصر سنتمترات في طولها، أو ضعف في بصرها..

أما تلك الشـابة الصـالحة؛ فنسـيت في بيت والــدها مع أنها تحمل كتــاب الله في صدرها.. والسبب أنها مطلقة[1] ..

وقد اختار الإمـام أحمد بن حنبل عـوراء على أختها، وكانت أختها جميلة، فسـأل عن أعقلهما؟ فقيل: العـوراء، فقـال: (زوجـوني إياها)[2].

وقـــال شـــميط بن عجلان: (رحم الله رجلاً تبلغ بامرأة وإن كانت نصفًا، وكان في وجهها رداءة، إن كــــان موقنًا بنســـاء أهل

---

1 (?) ليس معـنى هـذا أن الصـالحات قبيحـات دميمات، بل هن من قد جمع اللـه لهن جمـال الخلقة وجمال الخلق.

2 (?) الإحياء: (3/131).

الجنة)[1] .

وكان مالك بن دينار رحمه اللـه، يقـول: (يـترك أحـدكم أن يـتزوج يتيمة فيـؤجر فيها إن أطعمها وكسـاها، تكـون خفيفة المؤنـة، ترضى باليســير، ويــتزوج بنت فلان وفلان يعني أبنـاء الـدنيا، فتشـتهي عليه الشـهوات وتقول: اكسني بكذا وكذا)[2] .

1 (?) المرجع السابق.
2 (?) الإحياء: (2/44).

تجارب

قال يحيى بن يحيى: كنت عند سفيان بن عيينة، إذ جاء رجل فقال: يا أبا محمد أشكو إليك من فلانة -يعني امرأته- أنا أذل الأشياء عندها وأحقرها، فأطرق سفيان مليًا ثم رفع رأسه فقال: لعلك رغبت إليها لتزداد عزًا؟ فقال: نعم يا أبا محمد، قال: من طلب العز ابتلي بالذل، ومن طلب المال ابتلي بالفقر، ومن طلب الدين جمع الله له العز والمال مع الدين.

ثم أنشأ يحدثه فقال: كنا إخوة أربعة: محمد وعمران وإبراهيم وأنا، فمحمد أكبرنا وعمران أصغرنا، وكنت أوسطهم؛ فلما أراد محمد أن يتزوج رغب في الحسب فتزوج من هي أكبر منه حسبًا فابتلاه الله بالذل، وعمران رغب في المال فتزوج من هي أكثر منه مالاً فابتلاه الله بالفقر، وأخذوا ما في يديه ولم يعطوه شيئًا، فقدم علينا عمران بن راشد، فشاورته وقصصت عليه قصة إخوتي، فذكرني حديث يحيى بن

يحيى بن جعدة وحديث عائشة، فأما حـديث يحــيى بن جعــدة، قــال النــبي : «**تنكح المـــــرأة على أربــــــع: على دينها وحســـبها ومالها وجمالهـــا، فعليك بــذات الــدين تــربت يــداك**» وحــديث عائشة أن النـبي قـال: «**أعظم النسـاء بركة أيســرهن مؤنة**» فــاخترت لنفسي الدين وتخفيف الظهر اقتداء بسنة الرسـول ، فجمع الله لي العز والمال مع الدين[1] .

1 (?) حلية الأولياء: (7/289).

نماذج من ثمار نكاح الصالحات

ذكر أن عمر بن الخطـــــاب نهى في خلافته عن مذق اللبن بالماء (أي مزجه به) فخـرج ذات ليلة في حواشي المدينـة، فـإذا بامرأة تقول لابنةٍ لها:

ألا تمذقين لبنك فقد أصبحت؟

فقـالت الجاريـة: كيف أمـذق، وقد نهى أمير المؤمنين عن المذق؟

فقالت: قد مـذق النـاس فامـذقي، فما يدري أمير المؤمنين.

فقـــالت: إن كـــان عمر لا يعلم، فاالله عمر يعلم، ما كنت لأفعله وقد نهى عنه.

فـوقعت مقالتها من عمـر، فلما أصـبح دعا عاصـمًا ابنه فقــال: يا بــني اذهب إلى موضع كـــذا وكـــذا، فاســأل عن الجارية - ووصفها له- فذهب عاصـم، فـإذا هي جارية من بني هلال، فقال له عمـر: اذهب يا بــني فتزوجها، فما أحراها أن تأتي بفارس يسـود العرب، فتزوجها عاصم بن عمر فولــدت له أم عاصم بنت عاصم بن عمر ابن الخطاب،

فتزوجها عبد العزيز بن مـــروان بن الحكم، فأتت بالخليفة عمر بن عبد العزيز[1] .

خطب أبو طلحة أم ســـــليم قبل أن يسـلم، فقـالت: ما مثلك يـرد، ولكنك رجل كافر وأنا امرأة مسلمة، فـإن تسـلم فـذلك مهري لا أسألك غيره، فأسلم وتزوجها.

أخــرج ابن أبي شـيبة عن الشـعبي: أن امرأة دفعت إلى ابنها يوم أحد السـيف فلم يطق حمله، فشدته على ساعدة بنسعة، ثم أتت به النبي فقالت: يا رسـول اللـه، هـذا ابني يقاتل عنك، فقال النبي : **«أي بـني، احمل هاهنــا، احمل هاهنا»** فأصـــابته جراح فانصرع، فأتى به النبي فقال: **«أي بـني لعلك جـزعت»** قـال: لا يا رسـول الله .

عن عبد الله بن مسعود قـال: لما نـزل قـول الله تعـالى: **مَنْ ذَا الَّذِي يُقْـرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِـيرَةً** [البقـرة: 245] قـال أبو الدحـداح

---

1 (?) سـيرة عمـر بن عبـد العزيـز، لابن عبـد الحكم، (ص22، 23).

الأنصاري: يا رسول الله، وإن الله ليريد منا القرض؟ قال: «**نعم يا أبا الدحداح**» قال: أرني يدك يا رسول الله، قال: فناوله يده، فإني قد أقرضت ربي -عز وجل- حائطي قال: وحائط له فيه ستمائة نخلة، وأم الدحداح فيه وعيالها، قال: فجاء أبو الدحداح فنادها: يا أم الدحداح، قالت: لبيك، قال: اخرجي، فقد أقرضته ربي -عز وجل-، فحملت ما لها من متاع، وكان بيد أحد أبنائها تمرة فألقتها من يده وخرجت مع صغارها[1].

قال الإمام أحمد -رحمه الله- عن زوجته عباسة بنت الفضل: أقامت معي ثلاثين سنة، فما اختلفت أنا وهي في كلمة، ثم ماتت رحمها الله.

وكان ببغداد رجل بزاز[2] له ثروة، فبينا هو في حانوته أقبلت إليه صبية فالتمست منه شيئًا تشتريه، فبينا هي تحادثه كشفت

---

1 (?) انظر تفسير ابن كثير، (1/299).

2 (?) البزاز: بائع البز، والبز: الثياب أو متاع البيت من الثياب ونحوها.

وجهها في خلال ذلــك، فتحــير، وقــال: قد والله تحيرت مما رأيت.

فقالت: ما جئت لأشتري شــيئًا، إنما لي أيــام أتــردد إلى الســوق ليقع بقلــبي رجل أتزوجه، وقد وقعت أنت بقلــبي، ولي مــال، فهل لك في التزوج بي؟

فقــال لهــا: لي ابنة عم وهي زوجــتي، وقد عاهدتها ألا أغيرها، ولي منها ولد.

فقــالت: وقد رضــيت أن تجيء إلي في الأسبوع نوبتين، فرضي، وقــام معهــا، فعقد العقد ومضى إلى منزلها، فدخل بها.

ثم ذهب إلى منزله، فقــال لزوجتــه: إن بعض أصــدقائي قد ســألني أن أكــون الليلة عنده.

ومضى، فبات عنــدها، وكــان يمضي كل يوم بعد الظهر إليها. فبقي على هــذا ثمانية أشــهر. فــأنكرت ابنة عمه أحوالــه، فقــالت لجارية لها: إذا خرج فانظري أين يمضي؟

فتبعته الجارية، فجــاء إلى الــدكان، فلما جــاءت الظهر قــام، وتبعته الجاريــة، وهو لا

يـــــدري، إلى أن دخل بيت تلك المـــــرأة. فجاءت الجارية إلى الجيران فسألتهم: لمن هذا الدار؟ فقالوا: لصبية قد تــزوجت برجل تاجر بزاز.

فعـادت إلى سـيدتها، فأخبرتهـا، فقـالت لهــا: إيــاك أن يعلم بهــذا أحــد، ولم تظهر لزوجها شيئًا.

فأقـام الرجل تمـام السـنة، ثم مـرض، ومـات، وخلف ثمانية آلاف دينــار، فعمــدت المـرأة الـتي هي ابنة عمه إلى ما يسـتحقه الولد من التركــة، وهو ســبعة آلاف دينـــار، فأفردتها وقســـمت الألف الباقية نصـــفين، وتركت النصف في كيس، وقـالت للجاريـة: خذي هذا الكيس واذهـبي إلى بيت المـرأة، وأعلميها أن الرجل مـــات، وقد خلف ثمانية آلاف دينـــــار، وقد أخذ الابن ســــبعة آلاف بحقـه، وبقيت ألف فقسـمتها بيـني وبينـك، وهذا حقك، وسلميه إليها، فمضت الجاريــة، فطرقت عليها الباب، ودخلت، وأخبرتها خبر الرجــل، وحــدثتها بموتــه، وأعلمتها الحــال،

فبكت، وفتحت صـــندوقها وأخـــرجت منه رقعة وقالت للجاريـة: عـودي إلى سـيدتك، وســـلمي عليها عـــني، وأعلميها أن الرجل طلقـني، وكتب لي بـراءة، وردي عليها هـذا المال، فإني ما استحق في تركته شيئًا[1].

وقد ذكر ابن أبي الـــــــدنيا في كتابه [الورع]؛ قـال العبـاس بن سـهم: إن امـرأة من الصالحات أتاها نعي زوجها وهي تعجن، فــرفعت يــديها من العجين، وقــالت: هــذا طعام قد صار لنا فيه شريك [أي الورثة].

وقال عبد الله بن أحمد بن حنبــل: كنت مع أبي يومًا من الأيــام في المــنزل، فــدق البـاب، وقـال لي: اخـرج انظر من بالبـاب، قــال: فخــرجت فــإذا امــرأة، قــالت لي: أستأذن على أبي عبد الله تعني أبـاه، قـال: فاستأذنت، فقال: ادخلها، فدخلت فجلست، فسلمت عليه، وقالت لــه: يا أبا عبد الله أنا امرأة أغزل بالليل في السـراج فربما طفئ السـراج فـأغزل في القمـر، فعلي أن أبين

---

1 (?) صفة الصفوة: (2/532).

غزل القمر من غزل السـراج؟ قـال: فقـال لهـا: إن كـان عنـدك بينهما فـرق فعليك أن تبيني ذلك، قال: قـالت لـه: يا أبا عبد اللــه، أنين المـــرض شـــكوى؟ قـــال: أرجو أن لا يكون شكوى، ولكنه اشتكاه إلى الله، قـال: فودعته وخرجت، قال: فقال لي: يا بني، ما سمعت قط إنسانًا يسأل عن مثل هذا، اتبع هذه المرأة فانظر أين تدخل؟ قال: فتبعتها، فـــــــــإذا هي قد دخلت إلى بيت بشر بن الحــارث، وإذا هي أختــه، قـــال: فـــرجعت فقلت له، فقال: محال أن تكـون مثل هـذه إلا أخت بشر[1].

من ثمــار وآثــار زواج الصــالحات حفظ ورعاية الأبنــاء في حيــاة الأب وبعد مماتــه، وإليك نماذج تبين دور المرأة المســلمة في تربية قادة الأمة وعلمائها وعظمائها:

- الإمــام الثقة الثبت، أمـام أهل الشـام وفقيههم: أبو عمــرو الأوزاعي -رحمه اللــه- قــال عنه النــووي: وقد أجمع العلمــاء على

---

1 (?) طبقات الحنابلة: (ص427).

إمامة الأوزاعي، وجلالته وعلو مرتبتـــــــه، وكمــال فضــله، وأقاويل الســلف -رحمهم اللــه- كثــيرة مشــهورة، مصــرحة بورعه وزهده وعبادته وقيامه بـالحق وكـثرة حديثه وغــزارة فقهــه، وشــدة تمســكه بالســنة، وبراعته في الفصــاحة، وإجلال أعيــان أئمة عصــره من الأقطـار له واعـترافهم بمرتبته اهـ.

ذلك الحــبر البحر كـان أيضًــا ثمــرة أم عظيمــة!! هي الــتي رعته وربته بعد وفــاة والده.

وهــذا ربيعة الــرأي -رحمه اللــه- شــيخ الإمــام مالك بن أنس -رحمه اللــه- ســافر أبــوه للغــزو والجهـاد في ســبيل اللــه، وهو جنين في بطن أمه، ثم غاب ولم يعد، وترك عند زوجته ثلاثين ألف دينــــار، فأنفقتها تلك الأم الفاضــلة في تعليم ولــدها وتفقيهه في دينه، حتى صار ذلك الابن ربيعة الرأي شيخ أهل المدينــــة، وعالمها المقــــدم ومفتيها وفقيهها!!

وهذا الإمام مالك بن أنس -رحمه اللــه- إمام دار الهجـرة، وصـاحب الكتـاب العظيم [الموطـأ] وهو الـذي كـانت تشد له المطايا من أقطـار الـدنيا، طلبًا لعلمه وفتـواه، وهو كانت تهابه الملوك والسلاطين!!

هذا الإمام الجليل، كان ثمرة أم فاضلة، يســرت له ســبل طلب العلم، وحثته عليــه، وربته على تحصـــيله، واســـمع إلى الإمـــام مالك وهو يحكي ذلك فيقـــول: قلت لأمي: أذهب فـــأكتب العلم؟ فقـــالت لي: تعـــال فـــالبس ثيـــاب العلم!! قـــال: فألبســـتني مســـمرة! ووضـــعت الطويلة على رأســـي، وعممتـــني فوقهـــا، ثم قـــالت لي: اذهب فاكتب العلم الآن!! وكانت تقول لي: اذهب إلى ربيعة الـــــــــرأي، فتعلم من أدبه قبل علمه!!

وهذا الإمام الشـافعي محمد بن إدريس -رحمه الله- كـان ثمـرة مباركة لأم صـالحة عظيمة، فقد مات أبوه، وهو جنين أو رضيع فتولته أمه بعنايتها، وأشرفت عليه بحكمتها، وكـانت امـرأة عاقلة فاضـلة، من فضـليات

عقائل الأزد، وكـانت -رحمها اللـه-، باتفـاق النقلة من العابــدات القانتــات، ومن أزكى الخلق فطرة[1]!!

قـال عبد الوهـاب بن عطـاء الخفـاف: حـــدثني مشـــايخ أهل المدينة أن فروخًا أبا عبد الرحمن بن ربيعة رحمه الله، خـرج في البعوث الغازية إلى خراسان أيام بني أميـة، وكـــــان ولــــده ربيعة يومئذ جنينًا في بطن أمـــــه!! وخلف عند زوجته أم ربيعة ثلاثين ألف دينار!! فغاب عن المدينة فـترة طويلة من السـنين، ثم قـدمها بعد سـبع وعشـرين سـنة!! وهو راكب فرسًـا وفي يـده رمح، فلما وصل المدينة توجه إلى منزلــه، ودفع الباب برمحه، دخل الدار!! فخرج إليه ربيعة وهو لا يدري أنه أبوه، وقال له: يا عدو الله، أتهجم على مـنزلي؟ فقـال فـروخ: يا عـدو الله، بل أنت الـذي دخلت على زوجـتي في بيتي!

فتواثبا وأمسك كل منهما برقبة الآخـــر،

---

1 (?) كتـــاب (عـــودة الحجـــاب) لمحمـــد بن إسماعيل، (2/204) بتصرف.

يريد أن يضـربه، وارتفعت أصـواتهما، حـتى اجتمع الجيران، فبلغ الخــبر مالك بن أنس -رحمه اللــه- والمشــيخة، فــأتوا يعينــون شيخهم ربيعة على هذا المعتدي على بيته!! وجعل ربيعة يقــول: والله لا فارقتك إلا عند السـلطان. وجعل فــروخ يقــول: والله لا فارقتك إلا بالسـلطان، وأنت مع امــرأتي!! وكـثر الضـجيج!! فلما أبصـروا الإمـام مالك سكتوا، فقال مالك لفروخ: أيها الشـيخ: لك سمعة في غـير هـذه الـدار!! فقـال فـروخ: هي داري، وأنا فــروخ. فســمعت امرأته كلامه!! فخرجت وقـالت: هـذا زوجي وهـذا ابــني الــذي خلفه وأنا حامل بــه، فاعتنقا جميعًا فروخ وولده ربيعة وجعلا يبكيان!!

فدخل فروخ المنزل وقال لزوجته: هـذا ابني الذي تركته في بطنك جنينًـا؟ فقـالت: نعم!! فقال لها: أخرجي المـال الـذي تركته عنــدك!! وهــذه معي أربعة آلاف دينــار فقـالت: لقد دفنته وأنا أخرجه لك بعد أيـام. ثم خــرج ربيعة إلى المســجد وجلس في

حلقتــه، فأتــاه مالك والحسن بن زيد وابن أبي علي وأشـــراف أهل المدينة يطلبـــون العلم على يديه، وأحدق الناس به!!

فقـالت أم ربيعة لزوجها فـروخ: اخــرج فصل في مسجد رسول الله ﷺ؛ فخـرج إلى المســجد، فنظر إلى حلقة وافـــرة ممتلئة بالطلاب!! فأتاها فوقف عليها، فأفسحوا له قليلاً، فجلس ليســـمع العلم، فنكس ربيعة رأسه يوهمه أنه لم يره.

ولكن الأب حين ســمع صــوت الشــيخ المتكلم، فقـالوا لـه: هـذا ربيعة بن أبي عبد الـرحمن!! فقـال: قد رفع الله ابـني! ورجع إلى منزله وقـــال لزوجتـــه: والله لقد رأيت ولـــدك على حالة ما رأيت أحـــدًا من أهل العلم والفقه عليهـــا!! فقـــالت له زوجتـــه: فأيهما أحب إليك ثلاثون ألف دينـار، أو هـذا الذي هو فيه؟! فقال: لا والله، بل هذا الذي هو فيه (أي من العلم والمكانة).

فقالت: فإني قد أنفقت كل المال الذي

تركته عنـــدي عليـــه!! فقـــال: فوالله ما ضيعته[1]!!

1 (?) وفيات الأعيان: (2/290).

أين تجد الصالحات؟

لا شك أن نفسك تاقت للفتاة المصون من صالحات هذه الأمة، والسؤال منك بدأ يرتفع في لهف وشوق: أين أجد هذه؟ وأين منبتها؟

كل تلك الأسئلة تدور في ذهن المسلم العاقل الرزين. بل تتواتر مثل تلك الأسئلة أو أكثر؛ إذا أراد شراء منزل أو سيارة، فما باله يبخس نفسه وذريته حق السؤال والمتابعة والتدقيق؟!

أخي الشاب:

جعل الله علامات وأماكن لأهل الخير والصلاح، وكذلك لأهل الفسق والمجون.

فأماكن الصالحات في قعر البيوت لا يعرفن الخروج إلا لضرورة، إن رأيتها في سوق أو شارع فإذا بها ممتثلة أمر الله ورسوله في الحجاب.

تجدها في مصليات المدارس والجامعات، وتجدها في دور التحفيظ النسائية، وتجدها في مدارس تحفيظ القرآن للبنات، وتجدها عند الخيرات من

أمثالها، فالطيور على أشباهها تقع.

تجد الصـــالحات في بيـــوت أهل العلم والـــــدين والخـــــير والنبلاء، تتلألأ بهن تلك البيوت ولله الحمد.

ومن نعم الله أن كـــثرة الالـــتزام في الفتيات ليس له حـد، بل قد يفـوق عـددهن على الشباب خلال هذه العشرة سنوات.

بجهد بسيط تجد بغيتـك، وبسـؤال عـابر تحقق أمنيتك.

أنموذج من الصالحات

التقى الشـعبي -رحمه اللـه- مع شـريح القاضي -رحمه اللـــه- ذات مـــرة، فســـأل الشعبي شريحًا، عن حاله في بيته، فقال له شريح: من عشـرين عامًا لم أر ما يغضـبني من أهلي!! فقال له الشـعبي: وكيف ذلـك؟ فقـــال شــــريح: من أول ليلة دخلت على امــرأتي، رأيت فيها حسـنًا وجمــالاً نــادرًا، فقلت في نفسي: فلأطهر وأصـلي ركعـتين شكرًا لله!! فلما سلمت من صلاتي، وجدت زوجتي تصلي بصلاتي، تسلم بسلامي.

فلما خلا الـــــــبيت من الأصـــــــحاب والأصــدقاء، قمت إليهــا، اقــتربت منهــا، لأصــيب منها ما يصــيب الرجل من زوجتــه، فقــالت لي: على رســلك يا أبا أميــة!! كما أنت!!

ثم قالت: الحمد لله، أحمـده وأسـتعينه، وأصـلي على محمد وآلـه، إني امـرأة غريبة عنــك!! لا علم لي بأخلاقــك!! فــبين لي ما تحب أن آتيه فآتيه، وما تكره فأتركه!!

ثم قـــــالت: إنه كـــــان في قومك من تتزوجه من نسائكم وفي قومي من الرجال من هو كفء لي!! ولكن إذا قضى الله أمرًا كـان مفعـولاً!! قد ملكت فاصـنع ما أمـرك الله بـــه: إمســـاك بمعـــروف، أو تســـريح بإحسان!! أقول قـولي هـذا، وأسـتغفر الله لي ولك!!

قال شريح: فأحوجتني -والله يا شـعبي- إلى الخطبة في ذلك الموضـــــــع، فقلت: الحمد لله، أحمـده وأسـتعينه، وأصـلي على النـبي وآله وأسـلم، وبعـد: فإنك قلت كلامًا إن ثبت عليه يكن ذلك حظـــــك!! (أي يكن خـــيرًا كثـــيرًا لـــك) وإن تدعيه يكن حجة عليك!!

ثم قـال: وإني أحب كـذا وكـذا، وكـذا وكذا، وأكره كذا وكذا، وما رأيت من حسـنة فانشريها!! وما رأيت من سيئة فاستريها!!

فقـالت لي: كيف محبتك لزيـارة أهلي؟ فقلت: ما أحب أن يملـــني أصـــهاري!! (لا أحب أن يكثروا من الزيارة باسـتمرار فأمل منهم).

فقـــالت: فمن تحب من جيرانـــك، أن يدخل دارك فآذن له؟ ومن تكره فأكره؟

فقلت: بنو فلان قـــوم صـــالحون، وبنو فلان قـوم صـالحون، فـأذني لهم!! وأما بنو فلان وبنو فلان فقوم سوء، فلا تأذني لهم!!

قال شـريح: فبت معها تلك الليلة بـأنعم ليلة!! وعشت معها عامًا كـاملاً، لا أرى منها إلا ما أحب وأتمنى.

فلما كان رأس السـنة الجديـدة، رجعت من مجلس القضـاء إلى بيـتي، فـإذا بفلانة في بيتي!! فقلت: من هذه المرأة؟ فقـالوا: ختنك -أي أم زوجتـــك-!! فـــالتفتت إلي وســألتني: كيف رأيت زوجتك يا أبا أميـــة؟ فقلت: خير زوجة!!

فقالت: يا أبا أميـة، إن المـرأة لا تكـون أسوأ حالاً منها في حالين:

إذا ولدت غلامًا، أو حظيت عند زوجها!! (أي شــعرت بحبه وتعلقه بهــا) فواللــه، ما حـاز الرجـال في بيـوتهم شـرًا من المـرأة المدللة!! فأدب ما شئت أن تؤدب!! وهذب ما شئت أن تهذب!!

قـال شـريح: فمكثت معي تلك المـرأة عشرين عامًا، لم أعقب عليها في شـيء إلا مرة واحدة، وكنت فيها مخطئًا!! ثم مـاتت -رحمها الله-.

وقفة

قيل لأبي عثمـان النيسـابوري: ما أرجى عمل عندك؟ قـال: كنت في صـبوتي يجتهد أهلي أن أتــزوج فــآبى، فجــاءتني امــرأة فقـــالت: يا أبا عثمـــان! أســـألك بالله أن تتزوجـني، فأحضـرت -أباهـا- وكـان فقـيرًا فزوجني منها، وفرح بـذلك، فلما دخلت إلي رأيتها عوراء عرجاء مشوهة!! قال: وكــانت لمحبتها لي تمنعـــني من الخـــروج، فأقعد حفظًا لقلبها، ولا أظهر لها من البغض شيئًا، وإني على جمر الغضى من بغضــها، قـــال: فبقيت هكذا خمس عشرة سنة حتى ماتت، فما من عملي شــيء هو أرجى عنــدي من حفظي لقلبها[1].

همسة

أخي الشاب:

لابد من تــوفر شــروط الاســتقامة في شخصك حــتى تفــوز بيد الزوجة الصــالحة، فهي تبحث عن رجل صــالح خلقه القــرآن،

---

1 (?) صيد الخاطر: (ص349).

يمتثل لأمر الله وأمر رسـوله الكـريم ..
وأني للاهٍ سـاهٍ أن يخطب الحسـناء.. ومن
يخطب الحسـناء لم يغلها المهـر.. ومن أول
ثمار تفكيرك بالزواج من امرأة صـالحة أنك
تفكر في إصــلاح نفســك.. وهــذه نعمة
عظيمة وبداية للخير سديدة.

جمع الله بينكما على خـــير، ورزقكما الذرية الصالحة في دوحة هنية سعيدة.

أخي الحبيب:

لن تندم أبدًا وأنت تطيع أمر الرسـول في قوله: «**عليك بذات الدين تربت يداك**» فقر عينًا، وأكثر من الدعاء بصلاح الذرية!

الفهرس